وكان صحيح العقيدة عنده علمٌ وأدب يحبّ العلماء ويحترمهم . وله في الجهاد مع أبيه مشاهد معروفة وآثار جميلة ووقف أوقافاً جليلة على قبّة الصخرة وغيرها .

ولشعراء عصره فيه أمداح طائلة وقصائد هائلة مثل ابن الساعاتي وابن سناء الملك وغيرهما .

فمن قول ابن سناء الملك فيه من جملة قصيدة : .

مَلِكٌ اسمهُ عليٌّ ولكنْ ... كيدُه في حروبه كيدُ عَمرو .

ليس ينفكّ بين فتكٍ وفتحٍ ... حينَ يختال بين نصلٍ ونصرِ .

وجهه البدرُ في الحروب ولا تع ... جبْ إذا كان يومُه يومَ بدرِ .

ومنه من قصيدة أخرى : .

حسبي عليٌّ ندًى حسبي عليٌّ هدًى ... حسبي عليٌّ جدا حسبي عليٌّ عُلا .

حسبي أبو حَسنٍ في كل نائبةٍ ... يستفرغ الحَوْلَ أو يستفرغ الحِيَلا .

حمدتُ آخرَ أيّامي بخدمته ... ولستُ أحمد من أيّاميَ الأولا .

ذكري به سارَ حالي عنده عَظُمَتْ ... قدري به جَلّ مقداري لديه عَلا .

ومن قول ابن الساعاتي فيه يمدحه : .

وزُرْتُ مصراً بغابٍ من قَنًا وظُبًى ... قلّتْ له شامخاتُ المُدْنِ والقُلَلُ .

سكنتها حين سكّنتَ البلاد بها ... جَمْعاً وثُقّفَ ذاك الزّيغُ والخَطَلُ .

فللقلوب اللواتي طالما وَجَبتْ ... بها سكونٌ وللدنيا بها زَجَلُ .

نهارُها بكَ أسحارٌ مقدّسةٌ ... جميعها والليالي كلّها أُصُلُ .

حَلأْتَ عنها وحَلّيتَ الزمانَ بها ... فاليومَ لا عَطَبٌ يُخشى ولا عَطَلُ .

حيث السحابُ بنودٌ والقِسِيّ لها ... رعدٌ وللنّبلِ فيها عارضٌ هَطِلُ .

فعَلْتَ ما سَرّ حتّى لا مثالَ له ... وقلتَ ما سارَ حتّى إنّه مَثَلُ .

ما غَلِقَ البحرُ فيما ظنّ راكبه ... وإنّما هزّ من أعطافه الجَذَلُ .

يرتاحُ عند أخيه حين جاوره ... فالشملُ مجتمعٌ والحبلُ مُتّصلُ .

قال الشيخ شمس الدين : كان فيه تشيّع ولم يكن في الملوك مثله قلّما عاقب على ذنب كثير العفو والحلم . وقال كمال الدين بن العديم : لم يكن متشيّعاً وإنّما قال هذا الشعر لموافقة الحال وتقرّباً إلى الإمام الناصر إذْ كان منسوباً إلى التشيّع . انتهى . قلتُ : ولما تعصّب أخوه العزيز عليه وعمّه العادل قال : .

ذي سُنّةٌ بين الأنام قديمةٌ ... أبداً أبو بكرٍ يجور على علي .

وكتب إلى الإمام الناصر : .

مولايَ إنّ أبا بكرٍ وصاحبهُ ... عثمانَ قد غَصَبا بالسيف حقّ علي .

وهو الذي كان قد ولاّه والده ... عليهما واستقام الأمرُ حين وَلِي .

فخالفاه وحلاّ عقد بيعته ... والأمرُ بينهما والنصّ فيه جَلي .

فانظرْ إلى حظّ هذا الاسم كيف لقِي ... مِنَ الأواخرِ ما لاقى من الأُوَلِ .

فجاء جواب الناصر من إنشاء ابن زَبادة وفيه : .

وافى كتابك يا ابن يوسف معلناً ... بالحقّ يخبرُ أنّ أصلك طاهرُ .

غَصبوا عليّاً حقّهُ إذْ لم يكن ... بعدَ النبيّ له بيثربَ ناصرُ .

فاصبرْ فإنّ غداً عليّ جزاءهم ... وابْشِرْ فناصرُكَ الإمام الناصرُ .

وفي ذلك يقول شرف الدين بن عُنَين من قصيدةٍ كتبها إلى أخيه من الهند : .

هيهاتَ آتي دمشقَ ومُلكها ... يُعزى إلى غيرِ المليكِ الأفضلِ .

ومن العجائبِ أن يقومَ بها أبو ... بكرٍ وقد علمَ الوصيةَ في علي .

مهلاً أبا حسنٍ فتلك سحابةٌ ... صيفيّةٌ عمّا قليلٍ تنجلي .

ومن شعر الأفضل : .

قلْ لمن في العذارِ أطنبَ جهلاً ... ويُباهي بوصفه ويُغالي .

لم يكن في الجِنان يُفقدُ في الوِلْ ... دانِ لو كان من صفات الجمالِ .

ومنه : .

وقبّلتُ خدّاً للحبيبِ مُورّداً ... بروحي أُفَدّي منه خدّاً مُورّدا .

فمن حَرّ أنفاسي علا فوق خدّهِ ... دخانٌ فخالوه عِذاراً مُزَرّدا .

ومنه :